﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف: 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـحـضـرُ بين خِيارَيْن أحلاهُما مُرٌّ، وعليهم أن يَـخْـتـاروا أخفَّ الضّررَيْن لدفْعِ أشدِّ المصيبَتَيْن

لمّا كان يوسفُ عليه السلام قد ضيَّق عليهم في أمر مجيئِهم بأخيهم، مُستخدِمًا معهم شتّى الوسائل وعْدًا ووعيدًا، ترغيبًا وترهيبًا، حيث ذكَّرَهم في باب الوعد والتّرغيبِ بما كان منه تجاهَهم من إيفاء الكيلِ وغاية الإكرامِ بقوله: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾، وفي باب الوعيد والتّرهيبِ والتّهديد كان قد قال لهم: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ﴾، وكان أن وجدوا أنفسَهم بين أمرَيْن أحلاهما مرٌّ، فإمّا أن يتنازلوا عنِ الميرَة ولا يقربوا البلادَ، وفي هذا الهلاكُ لهم ولأهلِهم، وإمّا أن يُفاوضوا أباهم ويتحمّلوا مغبَّةَ تذكيرهم بما كان منهم في حقّ يوسفَ بكلّ ما يحملُه هذا التّذكيرُ من قسوة الخطابِ، وشدّة اللّومِ والعتابِ، فاختاروا الطّريق الثّاني على ما فيه، فقالوا ما أخبر به القرآن عنهم: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَنُرَٰوِدُ﴾: فعلٌ ماضٍ على وزنِ (فاعَل)، جَذرُه (رود)، وهو أصلٌ يَدُلُّ على مَجيءٍ وَذَهابٍ مِن انْطِلاقٍ في جِهَةٍ واحِدَةٍ. تَقولُ: راوَدْتُهُ عَلَى أنْ يَفْعَلَ كَذا، إذا أرَدْتَهُ عَلَى فِعْلِهِ[1]، وتقول: راوَدَ فلانٌ جاريتَه عن نفسها، وراوَدَته هي عن نفسه: إذا حاوَل كلٌّ منهما من صاحبه الوَطْءَ والجِماعَ[2]، وراودتُه على كذا مراودةً ورِوادًا؛ أيْ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رود).
(2) الخليل، العين: (رود).

أردتَهُ[1]، فمعنى قولهم: ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: نسألُه أن يُخليَّه معنا حتَّى نجيءَ به إليك[2].

2) ﴿لَفَٰعِلُونَ﴾: اسمُ فاعل، جَذرُ مادَّته (فعل)، وهو أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْداثِ شَيْءٍ من عَمَلٍ وَغَيْرِه. من ذَلِكَ: فَعَلْتُ كَذا أَفْعَلُهُ فَعْلًا. وَكانَتْ من فُلانٍ فَعْلَةٌ حَسَنَةٌ أَوْ قَبيحَةٌ. والفِعالُ جَمْعُ فِعْلٍ[3]، والفَعْلُ بالفتح: مصدرُ فَعَلَ يَفْعَلُ، والفِعْلُ بالكسر: الاسمُ، والجمعُ: الفِعال، والفَعال بالفتح: الكَرمُ[4]، والفِعْلُ: التّأثيرُ من جِهَةِ مؤثِّرٍ، وهو عامٌّ لما كان بإجادةٍ أو غيرِ إجادةٍ، ولِما كان بعلمٍ أو غيرِ علمٍ، وقصدٍ أو غيرِ قصدٍ، ولِما كان من الإنسانِ والحيوانِ والجماداتِ، والعملُ مثلُه[5]، والفِعْلُ: كِنايَةٌ عَن كلّ عَمَلٍ مُتَعَدٍّ أو غيرِ مُتَعَدٍّ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أجابَ إخوةُ يوسفَ فقالوا: سنطلبُه من أبيه، ونجتهدُ في ذلك ونُحضرُه معنا، وإنّا لفاعلونَ ما أمرتَنا به دونَ تقصيرٍ[7]، قائلين: "سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ؛ أيْ: سنُخادعُه، ونحتالُ في انتزاعه من يده، ونجتهدُ في ذلك، وفيه تنبيهٌ على عزّة المَطْلب وصعوبةِ مناله"[8].

لا زال لدى إخوة يوسف الحافز لمراودة أبيهم في أخيهم

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نُكتةُ الفصلِ:

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾، شأنُه شأنُ ما يُقالُ في

فصلُ الجُملةِ للاستئنافِ البيانيِّ (شِبْهُ كمالِ الاتّصالِ)

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (رود).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 16/156.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فعل).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (فعل).
(5) الرّاغب، المفردات: (فعل).
(6) ابن سِيدَه، المحكم: (فعل).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 16/156، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/255، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.
(8) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/194.

المحاوراتِ والمقاولاتِ: إنّه جوابٌ عن سؤالٍ مُقدّرٍ، كأنّه قيل: فماذا قالوا بعد أن توعّدَهم يوسفُ ﷺ بمنْعِهم من قدوم بلادِه للميرَة ولا لغيرِها إن لم يأتوا بأخيهم لأبيهم معهم في المرّةِ القادمةِ؟ فكان الجوابُ: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾.

نُكتةُ التّعبيرِ بالسّين في ﴿سَنُرَٰوِدُ﴾:

التّعهّدُ بالفعْلِ أمانةٌ يَلتزمُ بها مستقبلًا مَنْ تَعهَّدَ بتحقيقِها

التّعبيرُ بالسّين الدّالّةِ على الاستقبال، في ﴿سَنُرَٰوِدُ﴾، بجانبِ إفادتِه الاستقبالَ، لكونِ هذا الوعدِ كان بحضرته ﷺ، قبلَ أن يغادروا إلى مكانِهم، فإنّه يدلُّ على إصرارهم، وتأكيدِ عزمِهم على بذلِ ما يستطيعون من جهد، في سبيل إقناعِ أبيهم، بأن يدفعَ معهم أخاهم للامتيارِ، في المرّة القادمةِ.

نُكتةُ التّعبيرِ بالمُراوَدةِ من حيث المادّةُ والصّيغةُ:

الإشارةُ إلى عزّةِ المطلَبِ المُبتغَى، وصُعوبةِ تحصيلِه

الرَّوْدُ: التّردّدُ في طلب الشّيءِ برفق.[1] وأصلُه يدلُّ على مَجيءٍ وذَهابٍ مِن انْطِلاقٍ في جِهَةٍ واحِدةٍ. تَقولُ: راوَدْتُهُ عَلَى أنْ يَفْعَلَ كَذا، إذا أرَدْتَهُ عَلَى فِعْلِهِ[2].

ومعنى ذلك أنّ المراوَدة المنشودةَ سيصاحبُها بذلُ جهدٍ في الأخذ والرّدِّ، والمحاورة والإقناعِ، والاستمالةِ برفقٍ والتّمنّي والإغراءِ، وتكريرِ المحاولة، وعدمِ الاكتفاء بمرّة أو مرّتيْن، وكلِّ ما يحتالُ به المُراوِد من أساليبَ وحِيَلٍ، في سبيل الوصولِ إلى غرَضِه، ولو أدّى ذلك إلى المخادَعةِ، ولذا عبّروا بصيغة المضارعِ الدّالّةِ على التّشارُكِ بين المتراوِدين، والمصدَّرةِ بالسّين الدّالّةِ على قوّة العزمِ، وبذلِ غايةِ الجهدِ في المراوَدة، ليحملوا أباهم على الموافقةِ. وفي هذا التّعبيرِ ﴿سَنُرَٰوِدُ﴾ إشارةٌ وتنبيهٌ "على عزّةِ المطلبِ وصُعوبةِ مَنالِه"[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (رود).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رود).

(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/11، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/367.

معنَى (عن) في: ﴿عَنْهُ﴾:

المُرَاوَدَةُ الاجتهادُ في الـطَّـلـبِ لتحصيلِ ما هو عزيزُ المنالِ

الحرفُ (عن) معناه المجاوزةُ؛ أيْ: نُراودُه مُراوَدةً نُباعِدُ بها بينه وبين رغبتِه في الاحتفاظ بأخيهم وعدمِ دفعِه إليهم، "﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾؛ يعني: سنطلبُ من أبيه أن يبعثَه معنا، ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾؛ يعني: لصانِعون ذلك، فنطلبُه من أبيه ليبعثَه. ويُقال: وإنّا لضامِنون ذلك"[1].

نُكتةُ إضافةِ الأبِ إلى ضَميرِ أخيهم:

لا يـــزالُ في ضَميرِهم وَجْدٌ عـلى أبـيـهـم لـحُبّه لأخيهم ومـن قبْلُ حبِّه ليوسفَ

أضافوا الأبَ إلى ضميرِ أخيهم دون ضميرِهم فقالوا: ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾، وكأنّه ليس أباهم أيضًا، فكشفوا عمّا في ضميرهم من وَجْد بسببِ حبِّ أبيهم لأخيهم وحرْصِه عليه وتوجُّسِه منهم حِيالَه، تمامًا كما كان الحالُ مع أخيه يوسفَ من قبْلُ، وهو شعورٌ متجذِّرٌ فيهم من قديمٍ دلَّ عليه قولُهم من قبلُ: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: 8].

معنَى الواوِ في: ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾:

لَطائِفُ الحِيَلِ وَسـائـلُ في الـوصـولِ إلى المُرادِ

الواوُ عاطفةٌ عَطفتْ هذه الجملةَ على جملة مقولِ القول: ﴿سَنُرَٰوِدُ﴾، والمُراوَدةُ محاولةُ إقناعِ طرفٍ آخرَ بفعلٍ لا يرغبُ فيه، ولذلك قالوا: ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك غيرَ مفرّطين ولا مُتَوانين، فعبّروا بما يدلُّ على الحال، تنبيهًا على تحقّقِ وقوعِه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: 6]، وفيه إشارةٌ إلى أنّ لطائفَ الحِيَلِ وسائلُ في الوصول إلى المُرادِ، وأنّ الانخداع، كما أنّه من شأن العامّة، كذلك هو من شأن خواصِّ العبادِ، بموجبِ البشريّةِ الّتي ركّبها اللّه على السّويّة بين الأفرادِ"[2].

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/200.
(2) حقّي، روح البيان: 4/287.

نُكتةُ تتابُعِ المؤكِّداتِ في ﴿وَإِنَّا لَفَعِلُونَ﴾:

تواصُلُ المؤكِّداتِ في الجُملةِ الاسميّةِ كما سبقَ في الجُملةِ الفعليّةِ

بعد أن أكَّدوا فعلَ المُراوَدة بالسّين فقالوا ﴿سَنُرَٰوِدُ﴾، وبما يحملُه فعلُ المُراوَدة من معنى التّكرير - والتّكريرُ يُفيدُ التّأكيدَ - أكّدوا بعد ذلك جملةَ ﴿وَإِنَّا لَفَعِلُونَ﴾ بما يأتي:

أوّلًا: اسميّةُ الجملة، والتّعبيرُ بالجملة الاسميّة، أقوى وآكدُ منَ التّعبير بالجملةِ الفعليّةِ، والاسميّةُ في طَرفيْها - المُسندِ والمُسندِ إليه - تدلُّ على الإخبار على ثبوتِ المُسنَدِ للمُسنَدِ إليه؛ أيْ: "إذا كانَ خَبرُها اسْمًا فقد يُقْصدُ به الدَّوامُ والاستمرارُ الثّبوتيُّ بمعونة الْقَرائِن"[1].

ثانيًا: تصديرُها بـ (إنَّ) التّأكيديّةِ.

ثالثًا: إدخالُ اللّام التّأكيديّةِ على الخبر، وهي المُسمّاة المُزحلقة فقالوا: ﴿لَفَعِلُونَ﴾.

رابعًا: تَكرارُ ذِكْر المُسنَد إليه في إضماره في قوله: ﴿لَفَعِلُونَ﴾.

وهذا إنّما يدلُّ على ما ذكرنا مِرارًا من إصرارهم على بلوغ قصْدِهم في الإتيان بأخيهم بكلِّ وسيلةٍ.

نُكتةُ العُدولِ منَ الفعليّة إلى الاسميّةِ:

بيانُ ثباتِهم وإضرارِهم في مراودةِ أبيهم، للإتيانِ بأخيهم

عدلَ عنَ التّعبير بالفعل، في قوله: ﴿سَنُرَٰوِدُ﴾، إلى التّعبيرِ بالاسم الدّالِّ على الثّبوتِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَفَعِلُونَ﴾، للدّلالة على إصرارِهم على الإتيانِ به، وأنّهم ثابتون على ذلك بلا تَوانٍ ولا ادّخارٍ لأيِّ جُهدٍ في سبيل الإتيانِ بأخيهم.

نُكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿لَفَعِلُونَ﴾:

لفظُ الفعلِ يشملُ كلَّ عملٍ بلا تحديدٍ

عبَّروا بالفعل دونَ غيره، لِما فيه منَ الدّلالة على العموم، فهو يدلُّ على كلّ عملٍ بدون تحديدٍ[2] ودلالتُه الخاصّةُ هنا هو فتحُ الباب

(1) الكفويّ، الكليّات، ص: 341.

(2) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (فعل).

أمام كلِّ سبيلٍ يصلون به إلى المقصودِ، لكن لو لجؤوا إلى تعبير آخرَ كالإقناع أوِ الإلجاءِ أو نحوِ ذلك، لكان السّبيلُ محدودًا بنوعٍ مُعيَّنٍ منَ الأفعال، لكنّهم أرادوا أن يَبثّوا في نفْس يوسفَ ﷺ الطّمأنينةَ في أنّهم سيدخُلون إلى أبيهم من كلّ بابٍ، ويَعبُرون إليه من كلّ طريقٍ حتّى يوافقَ على إرسال أخيهم معهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العملُ والفعلُ:

العملُ ما له أثرٌ وفيه كَدٌّ والفعلُ عَكْسُهُ

لا شكّ أنّ بين الفعل والعمل تقارُبًا دلاليًّا ومُشتركًا يسمحُ بأن يحلَّ أحدُهما محلَّ الآخر في كثير منَ المواضع حتّى عُرّف كلٌّ منهما بما يُعرّفُ به الآخر، ففي المفردات: "الفِعْلُ: التّأثيرُ من جهة مُؤثّر، وهو عامٌّ لما كان بإجادةٍ أو غيرِ إجادةٍ، ولِما كان بعلمٍ أو غيرِ علمٍ، وقصدٍ أو غير قصدٍ، ولِما كان منَ الإنسان والحيوان والجمادات، والعملُ مثله"[1]، لكنّه في مادّة (عمل)، فرّق بينهما من جهة العموم والخصوص، فقال: العَمَلُ: كلُّ فعلٍ يكون منَ الحيوان بقصدٍ فهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعلَ قد يُنسبُ إلى الحيوانات الّتي يقع منها فعلٌ بغير قصدٍ، وقد يُنسبُ إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما يُنسبُ إلى ذلك[2]. وقد قيل في الفرق بين الفعل والعمل: إنّ الفعلَ يُطلقُ على ما يمرُّ سريعًا وينقضي ولا يكون له أثرٌ، أمّا العملُ فيُقال لما يكون له أثرٌ[3]، ومن العَمَل: الفعلُ باليد من زراعةٍ وتلقيحٍ وسَقْيٍ[4]، لأنّ ما يعملُه الإنسانُ بكدِّ يدِه له تأثيرٌ أثناء عملِه على العامل، ويبقى أثرُه على المدى غير أنّه، ممّا لوحظَ في استعمال القرآن الكريم، أنّه إذا

(1) الرّاغب، المفردات: (فعل).
(2) الرّاغب، المفردات: (عمل).
(3) أبو حيّان التّوحيديّ، المقابسات، ص: 280، والرّاغب، المفردات: (عمل)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 134.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عمل).

كان المقامُ مقامَ تعبير عن ممارسة دنيءِ الأخلاق، فإنّه يؤثرُ التّعبيرَ بلفظ الفعلِ، كما هو الشّأنُ في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هود: 87]، والفَعْلة المُرادةُ في الآية هي بخسُ النّاس أشياءَهم، والنّقصُ في الكيل والميزان، وهي من أحطّ الخصالِ، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾ [الأعراف: 28]، والمُرادُ بالفاحشة في الآية الطّوافُ بالبيت عُراةً للرّجال والنّساء[1]. ولا أحطَّ ولا أدنى من هذه الفعلة، وكان كثيرٌ منَ العرب باستثناء قريشٍ وبعضِ القبائل إذا طافوا بالبيت طافوا عرايا[2]. ولا يعني ذلك أنّ التّعبيرَ بلفظ الفعل، لا يكونُ إلّا عما هو دنيء.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/402.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 10/154.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»